دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	إشكالية التسامح في الفقه الإسلامي بين الواقع والمغالطات
المصدر:	مجلة دراسات وأبحاث
الناشر:	جامعة الجلفة
المؤلف الرئيسي:	الجنكو، علاء الدين بن عبدالرزاق
المجلد/العدد:	ع20
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	235 - 260
رقم MD:	706081
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, IslamicInfo, EcoLink, AraBase, EduSearch
مواضيع:	التسامح (فقة إسلامي)
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/706081

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

إشكالية التسامح
في الفقه الإسلامي بين الواقع والمغالطات

د. علاء الدين عبد الرزاق جنكو
مدرس الفقه والأصول بكلية القانون والعلوم السياسية
جامعة التنمية البشرية
السليمانية / العراق

الملخص باللغة العربية

إن الناظر إلى التاريخ الإسلامي سيجد أن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على أرض الإسلام فقد عرف المسلمون منذ انطلاقته أن التسامح هو : سلوك حضاري وفضيلة اجتماعية تتمثل في احترام المعتقدات وإمكانية التعايش مع معتنقيها، وقبول المخالف مع قدرة الرفض .

ومع ذلك لم تظهر فكرة التسامح كمبدأ خاص إلا على أنقاض الحروب الدينية في اوروبا بعد أن عاشت أوروبا عهوداً من الطغيان الكنسي والاضطهاد الديني .

لقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى التسامح، من خلال آيات كثيرة، أشارت بالمضمون إليه أما في السنة النبوية جاءت بكل ما تحمله هذه الكلمة من التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة ، وبناء عليهما تجلت سماحة الإسلام في مظاهر العلاقات بين المسلمين وغيرهم، فوضعت مجموعة القواعد والضوابط الفقهية والآداب السلوكية للتسامح أظهرت جميعها أن الإسلام دين اليسر ورفع الحرج والمشقة و الرحمة الواسعة ودين هداية لإنقاذ البشر من الضلالة إلى النور.

مع تبلور فكرة الدولة والمجتمع المدني خرج مفهوم التسامح بمعناه الشامل، من نطاق السلوك الفردي أو الذاتي أو الاختياري الى نطاق السلوك الجماعي والدولي والإلزامي، وأصبح أساسا لكل تنظيم سياسي، في الغرب أولا، ثم في العالم. وبذلك التسامح بدأ دينيا وحظي بتأييد فلسفي .

من المغالطات التي أشكلت على الكثير من أبناء المسلمين كيفية التوافق بين التسامح كقيمة لفضيلة وبين مفهوم الإرهاب كما ورد في القرآن الكريم. فليس هناك أي تعارض بين كون الإنسان يبني سورا يحمي به نفسه وفي الوقت ذاته يتمتع بأعلى وأنبل صفات البشر.

ومن المغالطات عدم القدرة على التوفيق بين التسامح وتطبيق قاعدة ومبدأ المعاملة بالمثل وبمقارنة بسيطة بين هذا المبدأ في الإسلام وغيره سنجد أن هذا المبدأ تم إقراره في الإسلام ليكون السلاح الرادع للمعتدين على المسلمين .

ومن التصورات والمغالطات التعارض فضيلة التسامح مع المخالفين من غير المسلمين ومسألة الولاء،إن الولاء للإسلام لا يعني رفض غيره لأنه مدعو للدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لهجوم عسكري أو ثقافي، ولأن الإسلام دين التسامح والعفو والصفح يأمر بمسالمة من لا يتعرض له بالإساءة .

وذاك هو التوافق بين تسامح الإسلام ورفضه الولاء لخصومه المعتدين، توافق يعتبر حاجزا حقاً بين التسامح والعفو من جهة والضعف والجبن والنذالة من جهة أخرى .

A look at the history of Islam shows that the sectarian hatred and the religious battles were far away from Islam-land and the Muslims, from the beginning of Islam, knew that Tolerance is a civilized behavior and a social virtue represents in respecting other beliefs, coexist with their believers and accepting the aliens while you are able to reject.

Whereas Tolerance, as a special principle, was never known until after the religious battles in Europe and after it suffered a lot from spiritual tyranny and religious oppression.

Tolerance is mentioned in Quran in a lot of verses and in Prophet Muhammad Sunna it occurs as much as this word, Tolerance, is related to every aspect of life. So according to these two, Quran and Sunna, the Islamic tolerance manifested itself in the relationship between Muslims and non Muslims. It puts a group of jurisprudential rules and principles and behavioral regulations for tolerance, all of these show that Islam is the religion of facilitation, mercy and it comes to save the humanity from misguidance to the light .

With the appearance of the concept of state and civil society the notion of tolerance exited from the field of personal, individual and optional behavior to a collective, international and obligatory one and became a foundation for each political organization in west and then in the world. In this way tolerance began religiously then it was supported philosophically.

Muslims then confused how to coincide between tolerance as value for virtue and between the concept of terrorism in Holy Quran. It doesn't conflict if people want to protect themselves and at the same time have the highest and noblest characteristics of human beings.

There is also the mistake of inability to reconcile between tolerance and applying the principle and base of reciprocity, and if this principle in Islam is compared to others we will conclude to the fact that this principle was decided to protect Muslims from aggressors.

There is also another misunderstanding about the conflict of tolerance with aliens of non Muslims and the issue of loyalty. Being loyal to Islam doesn't mean rejecting others because it is called to defend itself if it was attacked military or intellectually, and because Islam is the religion of tolerance and forgiveness it orders peace for those who don't abuse.

This is the coincide between the Islamic tolerance and rejecting loyalty to its aggressor opponents. This coincide is considered a barrier between tolerance and forgiveness from one side and weakness, coward and villainy from another side.

.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الكرام إلى يوم الدين وبعد :

إن الناظر إلى التاريخ الإسلامي سيجد أن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على أرض الإسلام والمسلمين، فقد عرف الإسلام منذ انطلاقته أن يعاشر غيره على المسامحة واللطف وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من قوانين ويضع من تقاليد[1].

والإنسان بحاجة إلى التعارف والتواصل والترفع عن العنصريات والاستعلاء والأنانية وعدم التخاذل والانهزام أمام هواة القتل والاحتلال وإبادة الجنس البشري.

وليس هناك وسيلة تقوم بها لتحقيق متطلبات الإنسان من التواصل والتعارف مثل التسامح والتعامل بين الأمم والأقوام والشعوب المختلفة في العقائد والأديان والمدارس الفكرية .

إضافة إلى ما ابتليت به بعض الدول الإسلامية من الصراعات الداخلية سواء الطائفية منها او العرقية، والتي لا يمكن حلها إلا بالتزام جميع الأطراف بالتسامح وتطبيقها على أرض الواقع .

ونتيجة للخط بين المفاهيم وقع بعض المسلمين في مصائب فادحة جراء التفسير الخاطئ للنصوص وعدم التوافق بين المفاهيم الداعية للجهاد من ناحية والداعية إلى التعايش والتسامح من جهة أخرى.

هذه الانتقائية في التطبيق الخاطئ أعطت للدول غير المسلمة انطباعا بأن المسلمين غير صادقين في دعاواهم وأنهم إذا كانوا بهذه الدرجة من العنف فيما بينهم وداخل بلدانهم، فكيف سيكون الحال فيما لو كانوا في مقابلة الآخر، وعليه تم تصنيفهم أعداء حقيقيين لهم وتحت عنوان الإرهاب .

ويثير موضوع التسامح العديد من التساؤلات التي لا يخلو بعضها من صعوبة أو تعقيد:

فعلى سبيل المثال: فكيف تعالج التشريعات أو القوانين الوطنية وأحكام القانون الدولي مختلف جوانب التسامح؟

وهل ثمة تطابق مطلق في المستوى التشريعي بين النظري و الممارسة؟

وما هي الحدود المسموح بها والمحظورة في مجال التسامح؟

وهل صحيح أن الإسلام قام على القسوة والإكراه في الدين وزرع الأحقاد والظلم والعنف والترويع والإرهاب؟

فرضية البحث :

تقوم الفرضية الأساسية لهذا البحث على اعتبار أن مبدأ التسامح قادر على حل جميع المشاكل التي ابتليت بها الدول الإسلامية - وخاصة سوريا والعراق – ولا سيما أن المجتمع الأوروبي لجأ إليه كأفضل أسلوب لمشاكله بعد عصور سوداء من تدمير وإهانة البشرية .

وبناءً على هذه الفرضية اعتمد البحث على فرضيتين فرعيتين:

- أن التسامح جزء من ذاتية الإسلام لم ولن ينفصل عنه بسبب سوء تصرف المسلمين مهما تبدلت الأحوال والأمكنة والأزمنة.

[1] - أنظر : التسامح بين الإسلام والنصرانية، محمد الغزالي، ص 5.

- التفسير الخاطئ وعدم القدرة على التوافق بين مبادئ الإسلام في الأمن والخوف والحرب والسلم، يوقع البعض في جملة من المغاطات الواهية وهم يحسبون انهم يبدعون في اكتشافات تاريخية !!

منهجية البحث :

اتبعت في هذا البحث منهج التحليل والاستنباط والاستنتاج من خلال تناول مبدأ التسامح في المصادر الإساسية للإسلام والقانون الدولي وربطها بما يثيره المنتقدين من شبهات ومغالطات من مبدأ : (السعادة تكمن في حجرة تتبختر اتضاحاً، وشبهة تتضائل افتضاحاً)

وقد اعتمدت في بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع وبعض المجلات وبعض مواقع الإنترنيت التي وضعت لها قائمة في نهاية البحث .

خطة البحث :

وإغناءً للموضوع قسمت بحثي إلى مقدمة ومبحثين في كل منهما ثلاثة مطالب، مع خاتمة ذكرت فيها التوصيات والنتائج على النحو الآتي :

المقدمة : وشملت أهمية الموضوع وفرضية ومنهجية وخطة البحث .

المبحث الأول : ماهية التسامح وتاريخ النشأة

المطلب الأول : تعريف التسامح .

المطلب الثاني : التسامح لمحة تاريخية .

المطلب الثالث : أهمية وقيمة التسامح .

المبحث الثاني : التسامح قراءة فقهية وقانونية .

المطلب الأول : التسامح في القرآن الكريم، والسنة النبوية الكريمة

المطلب الثاني : القواعد والضوابط الفقهية للتسامح في الإسلام .

المطلب الثالث : مبدأ التسامح في الاتفاقيات الدولية .

المبحث الثاني : الإسلام والتسامح والمغالطات .

المطلب الأول : التسامح وإرهاب العدو.

المطلب الثاني : التسامح والمعاملة بالمثل .

المطلب الثالث : التسامح والولاء .

الخاتمة .

النتائج والتوصيات .

والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول : ماهية التسامح وتاريخ النشأة

المطلب الأول : تعريف التسامح

تعريف التسامح لغة :

التسامح من سَمُحَ وتدل على السلاسة والسهولة، ويقال: سَمَحَ وأَسْمَحَ إذا جاد وأَعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ؛ والمُسامَحة: المُساهَلة. وتَسامحوا: تَساهَلوا. وفي الحديث المشهور: (**السَّماحُ رَباحٌ**)[2] أَي المُساهلة في الأَشياء تُرْبِحُ صاحبَها. وتقول العرب: عليك بالحق فإِن فيه لَمَسْمَحاً أَي مُتَّسَعاً[3] .

تعريف التسامح إصطلاحاً :

تعددت تعريفات التسامح في الاصطلاح : فقد عرفه الجرجامي بأنه : (بذل ما لا يجب تفضلاً).

وعرفه صاحب نضرة النعيم : (تيسير الأمور والملاينة فيها وتتجلى فيها عدم القهر)

كما يطلق على : الاعتراف الرسمي الحقيقي بحقوق الآخرين الاجتماعية والسياسية [4].

ويرى أمين الريحاني أن التسامح له صلته القوية بالتساهل في التعامل مع المخالف بشكل عام ويخصص المعنى في حالة التعامل مع المعتقدات والطقوس المخالفة[5].

المعنى الذي يراه الباحث :

وبعد الاطلاع على مجموعة من التعريفات ، رأيت أن التسامح هو : سلوك حضاري وفضيلة اجتماعية تتمثل في احترام المعتقدات وإمكانية التعايش مع معتنقيها، وقبول المخالف مع قدرة الرفض .

المطلب الثاني : التسامح: لمحة تاريخية

التسامح في الإسلام لازمه منذ بداية نزول الوحي، حتى أصبح من أعظم الفضائل الأخلاقية، والضرورات المجتمعية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها، وباتت من أهم أدوات نشر وتطبيق هذه الرسالة التي تأمر بالعدل، وتنهى عن الظلم، وتُرسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، مع كل ذلك لم تظهر فكرة التسامح كمبدأ خاص يقف عنده علماء الفلسفة والفكر والدراسات الاجتماعية وخاصة الأوروبية منها إلا على أنقاض الحروب الدينية في تلك القارة، ثم تحول فيما بعد إلى مبدأ له مرتكزات أساسية يقوم عليها[6].

---

2 - سلسلة الأحاديث الضعيفة 4. قال الألباني الحديث منكر ، رقم الحديث : 1557، ج 4 ص 62 الطبعة الأولى. سنة 1988 م، مكتبة المعارف الرياض.

3 - لسان العرب، لابن منظور، مادة (سَمَحَ)، الطبعة الثانية، 1413هـ 1993م دار إحياء التراث العربي – بيروت

4 - إشكالية التسامح، محمد مجتهد ثبستري، في : التسامح وجذور اللاتسامح، ص 20، رضوان السيد وآخرون، مركز دراسات فلسفة الدين، شباط 2005م ، وزارة الثقافة العراقية ، بغداد .

5 - كن شجاعاً واستخدم عقلك بين نور التسامح وظلمة التعصب، د. محمد الرميحي، مجلة العربي، ص 18 العدد 422، سبتمبر 1992م، الكويت .

6 - نقد التسامح اللبرالي، د. محمد بن أحمد المفتي، ص 15، ، (ب ط ، ب ت) مركز البحوث والدراسات، إصدار رقم 128، جريدة البيان .

لما عاشت أوروبا عهوداً من الطغيان الكنسي والاضطهاد الديني الذي وصل ذروته إلى محاكم التفتيش الذي شرع بأمر البابا جورجوري التاسع عام 1123م ثم صدر أم بابوي من قبل أبوست الرابع يرسخ نظام محاكم التفتيش ويشرعن حق الاضطهاد الديني[7].

وقد كانت أسوأ ممارسات هذه المحاكم في أسبانيا بعد مصرع غرناطة سنة 1492م التي تشكلت بمرسوم بابوي في نوفمبر سنة 1478م[8].

أدى التعصب الديني والمذهبي في أوروبا إلى بروز اتجاهين فكريين :

الاتجاه الأول : يرى أنه إنطلاقاً من صعوبة توحيد النصارى لجعل كل فئة منهم لرؤى مختلفة يمثله الإيمان الحق بالنسبة لها فإنه يمكن الوصول إلى اتفاق حول الحد الأدنى من أساسيات الاعتقاد العام في إطار كنيسة شاملة، مع بقاء الاختلافات في المعتقدات غير الأساسية وفي أشكال العبادة القائمة بين النصارى .

الاتجاه الثاني: وهو الرافض لمفهوم الكنيسة الشاملة، فقد طرح فكرة الدعوة إلى التسامح لكل المعتقدات النصرانية وقد قويت شوكة هذا التوجه في الجزء الأخير من القرن السابع عشر[9].

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الممارسات الإرهابية إنما جاءت مخالفة لما يدعو إليه الديانات السماوية كالمسيحية واليهودية حتى في زمن التحريف أيضا، فالمسيحية التي تقول أناجيلها: لقد قيل لكم من قبل أن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه أزارك وإن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين10.

- من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان11.

هذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمّن مبادئ التسامح في أَجْلى صوره، بل إنه تسامح يبدوا أحياناً فوق الطاقة، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة ولا غرابة في ذلك لان الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان.

وكذلك فأن اليهودية تدعو إلى التسامح فإذا نظرنا إلى مثل هذه الوصايا..

- كل ما تكرهُ أن يفعلهُ غيرك بك فإياك أن تفعلهُ أنت بغيرك[12].

---

7 - قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل، ص 80، طبعة عام 1991م، مركز الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر.

8 - تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، ص 79، الطبعة الثالثة، عام 1428لميلاد الرسول، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا.

9 - نقد التسامح اللبرالي، د. محمد بن أحمد المفتي، ص 15 .

10 - المسيح في الإسلام، ميشال الحايك، ص 159، ط4. 1961بيروت. دار النهار. ص 159.

11 - مقالة للاستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت. ayemh@yahoo.com

12 - الكتاب المقدّس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد - (العهد القديم). بعناية: الأب باسيليوس كناكري. ص 135.

- وتطهّروا وأزيلوا شرَّ أفكاركم وكفّوا عن الإساءة تعلّموا الإحسان والتمسوا الإنصاف[13].

المطلب الثالث : أهمية وقيم التسامح

بناء على ما سبق يتضح إن التسامح بمفهومه الشامل له قيم على أساسها يبنى وبها يحقق غايته ويجني ثمار نتائجه بين البشر وهذه القيم هي :

1- ضرورة وجوده :

تتمثل أهمية التسامح تتمثّل في ضرورة وجوده ، فسُنّة الوجود اقتضت أن يكون وجود الإنسان على الأرض على شكل تجمّعات بشرية، وهي وإن اتّفقت في ما يجمع بينها من وحدة الأصل والحاجة إلى التجمّع والحرص على البقاء والرغبة في التّمكّن من مقوّمات الحياة لكنها في الوقت نفسه تباينت في ما تتفرّد به كل مجموعة من خصوصيات سواء كانت عرقية أو دينية أو جغرافية أو ثقافية.

وقد صرّح القرآن بهذه الحقيقة الوجودية فقال تعالى : [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ][14].

فالغاية من اختلاف الناس - كما بينها الله تعالى - إلى شعوب وقبائل وتنوعهم إلى ثقافات ومَدَنيات إنما هو التعارف لا التَّناكر، والتعايش لا الاقتِتَال، والتعاون لا التَّطاحن، والتكامل لا التعارض، وبهذا تتضح أهمية التسامح في كونه ضرورياً ضرورة وجود الإنسان نفسه[15].

2- اقتضاء الاحترام المتبادل:

قيمة التسامح تتمثّل أيضا في كونه يُقرّ الاختلاف ويقبل التنوّع ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميز الأفراد ، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية، تكون سبب وجوده وسرّ بقائه وعنوان هويته ومَبعث اعتزازه.

3- اقتضاء المساواة :

من الواضح أن قيمة التسامح تتمثّل في كونه يقتضي التسليم المطلق – إعتقاداً وسلوكاً وممارسة – بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلأولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حُرمته فلأولئك دين له الحُرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خُصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فلأولئك خُصوصية ثقافية لا تقبل المَسّ أبداً.

4- دعم إقامة المجتمع المَدني:

من الواضح أن التسامح الديني يُعدّ أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالتعدّدية والديموقراطية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان وتقدير المواثيق الوطنية

---

13 - المصدر السابق، ص 139.

14 - سورة الحجرات / 13.

15 - في ظلال القرآن ج6 ص 3348.

واحترام سيادة القانون، خيارات استراتيجية وقيم إنسانية ناجزة لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح عامل فاعل في بناء المجتمع المدني، ومشجّع على تفعيل قواعده[16].

ومع كل هذا لم يكتشف المسلمون الكنز الثمين المتمثل في قيم التسامح في الإسلام، وما عليهم إلا العودة إليه والابتعاد عنه ولو أمعن الدعاة في التسامح وابتعدوا في خطاباتهم عن عقلية الوصاية على تفكير الآخرين لتربعوا قمم النهضة الثقافية حيث تزدهر تطلعاتهم وتنهض لديهم أفكار مبدعة.

المبحث الثاني (التسامح في الإسلام قراءة فقهية)

المطلب الأول : التسامح في القرآن الكريم والسنة النبوية

انطلق الإسلام دعوة هداية إلى البشرية من غار حراء وتجاوزت البحار والمحيطات وسلاسل الجبال لتصل إلى شتى بقاع العالم.

ولم يكن ليكتب لهذا الدين الانتشار لولا فضل الله تعالى له أولاً، ومن ثم احتوائه على القوانين والمبادئ التي سهلت له طريق نشره ووصوله إلى البشرية.

ومن أعظم هذه القوانين التي كان لها الدور الكبير في بزوغ نجم الإسلام في شتى مجالات الحياة مبدأ التسامح الملازم للآيات والأحاديث الشريفة .

فلسفة القرآن في التسامح

لقد أشار القرآن الكريم إلى التسامح، من خلال آيات كثيرة، وأمر الناس أن يتمسكوا بها.

القرآن الكريم وإن لم يذكر كلمة (التسامح) نصاً، إلا أن آيات كثيرة أشارت بالمضمون إلى ذلك مثل: الصفح، العفو، التجاوز، والهجر الجميل ...الخ، فإن كل هذه المعاني وسواها، تدل دلالة واضحة على التسامح، والسير على مبدأ العفو والصفح، والترغيب وأخذ المحبة والتآخي، وعدم إشاعة النعرات الجاهلية التي دائماً ما تفضي إلى الاقتتال، وزرع الفتنة وإشاعة ثقافة الموت في المجتمع[17].

آيات التسامح : وكثيرة هي الآيات الكريمة التي دعت إلى التسامح منها :

- قوله تعالى : [ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ][18].
- قوله تعالى : [وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا][19].
- وقوله تعالى : [خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ][20].

---

16 - أنظر : قيم التسامح، نبيل نعمة الجابري، مقالة منشورة في موقع الموسوعة الإسلامية بتاريخ 2013/4/21م على الرابط : http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=1332

17 - التسامح في القرآن، داود سلمان الكعبي،موقع لحوار المتمدن، العدد: 2663 بتاريخ 2009/5/31م على الرابط : **http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=173610**

18 - سورة النحل / 125.

19 - سورة الفرقان / 63.

20 - سورة الأعراف /199.

- قوله تعالى : [وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ][21].
- قوله تعالى : [وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ][22].
- قوله تعالى : [وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ][23].
- قوله تعالى : [وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ][24].
- قوله تعالى : [وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ][25]
- قوله تعالى : [وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ][26].

التسامح في السنة النبوية:

أما التسامح في السنة النبوية جاءت بكل ما تحمله هذه الكلمة من التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة ، ولا أبالغ لو قلت : إن أعظم وأروع صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم والتي جعلت منه أقرب الناس إلى قلوب خصومه قبل أصحابه وأتباعه هي صفة التسامح التي حملها بين ذرات جسده الطاهر وطبقها في حياته الشريفة المباركة، ومواقفه صلى الله عليه وسلم يصعب حصرها ولعل أكثرها شهرة وموقفه في يوم الفتح الأعظم فتح مكة(**عندما وقف أمام قريش يسألهم بعد كل ما فعلوا به وبأصحابه: ماذا تظنون أني فاعل بكم قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**)[27].

أحاديث التسامح : لقد تضافرت الأحاديث النبوية الداعية إلى التسامح منها :

1 - عن عائشة رضي الله عنها قالت : **ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى**[28] .

2 - عن أنس رضي الله عنه **قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى**

---

21 - سورة الحجر / 85.

22 - سورة النور / 22 .

23 - سورة آل عمران /134.

24 سورة آل عمران / 159.

25 - سورة الأنعام / 108.

26 - سورة العنكبوت / 46.

27 - السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، ج2 ص481، الطبعة السادسة لعام 1994م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

28 - أخرجه مسلم برقم : (2328).

الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء[29].

3 - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)[30].

4 - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**)[31].

5 - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (**إنما بعثت بحنيفية سمحة**)[32]

وغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على فضل العفو والصفح عن الناس وأن يصبر على الأذى ولا سيما إذا أوذي في الله فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج، وبهذه الثروة الثمينة من الآيات والأحاديث الشريفة الدالة على التسامح يعرف مكانة هذا المبدأ العظيم الذي ولد مع أول إشعاعات جبريل وهو يلقي الوحي على رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم عكس الذي كان في أوروبا يوم بات التسامح طوق النجاة لمئات آلاف من البشر من سيف وأرهاب رجال الكنيسة !!

المطلب الثاني : القواعد والضوابط الفقهية للتسامح الإسلام

للوقوف على الجانب التشريعي والفقهي لمبدأ التسامح وكيف فهم وفسَّر الفقهاء الأجلاء هذا المبدأ وبنوا على أساسه الأحكام الشرعية في هذا المجال، لابد من الإشارة أولاً إلى التقسيمات المجتمعية والمحاور المتعددة والتي على أساسها يتعامل الإسلام مع الناس .

تتجلى سماحة الإسلام في مظاهر عدة يمكن جمعها في ثلاثة محاور، والنظر من خلالها إليه:

الأول : **بين المسلمين**، من خلال الدعوة إلى إقامة مجتمع تسوده الأخوة والتضامن: [إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ][33]. وبهذا يتحقق المجتمع المتراص الذي يكون كالجسد الواحد: (**مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)[34].

ويبلور هذا التوحدَ مظهرُ التكافل الذي يجعل الفرد في كفالة الجماعة، لا سيما في حال الفقر أو العجز أو أي ضعف.

---

29 - أخرجه البخاري برقم : (2980)، ومسلم برقم : (1057) .

30 - أخرجه البخاري برقم : (3477) و(6929) ، ومسلم برقم : (1792) .

31 - أخرجه البخاري برقم : (5763)، ومسلم برقم : (2609) .

32 - أحمد في "مسنده ج6 ص 116، من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده حسن.

33 - سورة الحجرات /10

34 - أخرجه البخاري برقم: (6011)، ومسلم برقم: (2586)

الثاني : **مع غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي**، أي الذين يكونون قلة، مما تكفي في الدلالة عليه أن الإسلام دعا إلى محاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وبمنهج قائم على الحكمة والموعظة :[وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ][35]. [ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ][36]. وهذه الفئة سنتحدث عنها بنوع من التفصيل في هذا المطلب

الثالث : **مع غير المسلمين في مجتمعات أخرى غير إسلامية**، ويقوم على مبدأ (السِّلم) الذي هو أساس التعامل الذي يدعو إليه الإسلام، معتبراً أن غير السلم هو مما يغري به الشيطان ويدفع إليه : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ][37].

وتتأكد هذه الدعوة حين تكون مقبولة من الطرف الآخر: [وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ][38] ولا يخرج المسلمون من السلم إلى الحرب، إلا في حال الدفاع عن النفس والعقيدة، ولرد العدوان، مما يجعل القتال جهاداً في سبيل الله .

واعتمادا على ماسبق وعلى مفهوم التسامح المختار وهو : (سلوك حضاري وفضيلة اجتماعية تتمثل في احترام المعتقدات وإمكانية التعايش مع معتنقيها، وقبول المخالف مع قدرة الرفض)، سنجد أن الموضوع يتعلق بالمخالف للمسلم عقيدة وإيمانا إذا كان الأمر بين المسلمين وغيرهم أما ما يتعلق الأمر بين المسلمين أنفسهم فيدور رحاه حول الاختلافات الفقهية والمدارس الفكرية التي وصلت في بعض الأحيان إلى الاختلاف في العقائد، على أن المهم في دراستنا هذه هو تناول التسامح على مستوى علاقة المسلمين بغيرهم.

تطرق أكثر علماء الفقه إلى دراسة الأحكام الشرعية المتعلقة بغير المسلمين من أصحاب الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية في باب يحمل عنوان أحكام أهل الذمة، ومن أهم تلك القواعد والضوابط الفقهية والآداب السلوكية للتسامح في الإسلام:

1- تميَّز الإسلام بأنه دين اليسر ورفع الحرج والمشقة فلا عسر فيه، ولا أغلال ولا آصار، قال الله تعالى: [وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ][39].

2- شمل الإسلام بيسره ورفقه غير المسلمين فتسامح معهم في كثير من القضايا والأحكام ومنحهم جميع حقوقهم .

3- الرحمة الواسعة للإسلام كما قال تعالى: [وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ][40]

35 - سورة العنكبوت / 46.

36 - سورة النحل / 125.

37 - سورة البقرة / 208.

38 - سورة الأنفال /61.

39 - سورة الأعراف /157.

4 - الإسلام دين هداية لإنقاذ البشر من الضلالة إلى النور، ومن عذاب الله إلى رضوانه.

5- التسامح في الاعتقاد والعبادة: قال تعالى: [لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ][41].

قال ابن كثير: أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه[42].

6- الوصية بأهل الذمة، عندماحث الإسلام على عدم التعرض لهم بظلم أو أذى، قال النووي: أما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم ابراهيم منهم[43].

7- حرمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فقد حرم الإسلام دماء المعاهدين وأهل الذمة وعلق ذلك بدخول الجنة إن تعرض لذلك أحد بغير حق قال النبي صلى الله عليه وسلم (**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**)[44].

8- أمر الإسلام الوفاء بالعهود والمواثيق وحذر من نقضها بأي صورة من الصور طالما هي موافقة لمنهج الله وشرعه وموافقة مع المصالح العامة.

9- إقامة العلاقات الدولية: وهي في الإسلام قائمة على السلم، بل على البر والإقساط والتعاون والرحمة، مع الأمم الأخرى، لقوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ][45] فالأصل في العلاقات الدولية في الإسلام تحريم البغي والعدوان، أو التعاون والتحالف على العمل على ارتكابه، لأنه تعاون على الإثم.

10- الصدقة على غير المسلمين، يأمر الإسلام بالإحسان والصلة ولو على غير المسلمين كما قال تعالى: [لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ][46] .

11- الحكم بين غير المسلمين وقبول شهادتهم على بعضهم البعض وعلى المسلمين في السفر قبول شفاعة أهل القدر والجود منهم فقد أجاز الشرع قبول شفاعة الكفار في بعض الأحوال .

12- ومن مظاهر التسامح التي اختص بها أهل الكتاب في الإسلام إباحة الأكل من ذبائحهم وذلك في قوله تعالى: [وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ][47].

---

40 - سورة الأعراف /156.

41 - سورة البقرة /256.

42 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج 1 ص321، الطبعة الأولى، سنة 2000م، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان.

43 - شرح النووي لصحيح مسلم، شرف الدين النووي، ج8 ص338، الطبعة الأولى، عام 1995م، دار أبي حيان، القاهرة ، طبع على نفقة محمد بن راشد آل مكتوم.

44 - أخرجه البخاري برقم : (3166).

45 - سورة البقرة/ 208.

46 - سورة الممتحنة /8.

13- الاستئذان عليهم : فمن الآداب الإسلامية الاستئذان على المسلم وغير المسلم وإكرامهم في حسن الضيافة والاستقبال والتوديع .

14- من مظاهر التسامح في الإسلام إباحة التعامل مع غير المسلمين في العقود المالية ومعاملتهم في البيع والشراء، والتهادي معهم وقبول هداياهم وصلة الرحم معهم وبينهم .

15- الاستفادة مما عندهم من علوم ومعارف وتعلم لسانهم ولغتهم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود[48].

16- احترام حقوق الجوار لغير المسلمين، وجواز مخالطة أهل الكتاب وغيرهم من غير المسلمين لحاجة دينية كعرض الإسلام عليهم أو دنيوية كالبيع والشراء والحكم بينهم والزيارة وغير ذلك.

17- يجوز عيادة غير المسلمين إذا مرضوا كالجار والصديق والزميل في العمل وما شابه ذلك، والدعاء لهم بالهداية والعافية ومن ذلك: يجوز الدعاء لغير المسلمين بالهداية بل هو سنة، والدعاء بالعافية كما تقدم في الأحاديث والآثار.

18- الإحسان إلى غير المسلمين: يقيم الإسلام العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن لم يقاتلوهم في الدين أو يخرجوهم من ديارهم على البر والإقساط[49] ولعل من أبرز صور الإحسان إلى المخالفين في الدين الأمر بالإحسان إلى الوالدين غير المسلمين ثم الأقربين على حسب درجات قربهم قال تعالى: [وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ][50] .

19- قبول دعوتهم إلى وليمة عرس بشرط الخلو من معصية

20- حماية دور عبادتهم وطقوسهم، وحماية الكنائس والمعابد القائمة الوارد في الفقه الإسلامي يمتد ليشمل أماكن أخرى يستخدمها غير المسلمين للعبادة.

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر جيوشه أن لا يقتلوا العباد والنساك في صوامعهم وبيعهم، وعلى الرغم أن هناك عدم اتفاق بين الفقهاء إلا أنه يجوز للمسلمين أداء الصلاة في كنيسة أو معبد[51] .

المطلب الثالث : مبدأ التسامح الديني في الاتفاقيات الدولية

---

47 - سورة المائدة /5

48 - أخرجه البخاري برقم: (7195). صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، مراجعة: محمد علي القطب وهشام البخاري،الطبعة الأولى، عام 1997م، مكتبة العبيكان.

49 - من القسط : أي العدل .

50 - سورة لقمان /15.

51 - أنظر: حاشية رد المحتار ج1 ص 411، المغني لابن قدامة ج1 ص759، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج2 ص59 وموقع الدليل الفقهي على الرابط : http://www.fikhguide.com/almbt3th/12 .

بعيدا عن موقف الشريعة الإسلامية، يعتبر التسامح من أعظم القيم والمبادئ التي يجب أن تقوم عليها المجتمعات البشرية في العصر الحديث، بعد زوال الفواصل بين الشعوب، وتلاشت الأبعاد بين الأقطار، وتشابكت المصالح بين الدول، وامتزجت الحضارات والثقافات حتى غدت ملكاً للعالم بأسره ينهل من ينابيعها كل البشر.

مع تبلور فكرة الدولة والمجتمع المدني، في فصل الدولة عن الكنيسة، والحصول على المشاركة في اتخاذ القرارات في الدولة، والأخذ بمفهوم التسامح الذي يدل على قدر من المغايرة المسموح بها، وعلى قدرة المجتمع على استيعاب المعارضة واحترام الاختلاف في الرأي والعقيدة، خرج مفهوم التسامح، بمعناه الشامل، من نطاق السلوك الفردي أو الذاتي أو الاختياري الى نطاق السلوك الجماعي والدولي والإلزامي، وأصبح أساساً لكل تنظيم سياسي، في الغرب أولا، ثم في العالم.

وبذلك التسامح بدأ دينياً وحظي بتأييد فلسفي، ثم اكتسب، بفعل تنامي ظاهرة التعصب، موقعا قانونيا، وأصبح، الأنظمة السياسية الديموقراطية، الدعامة الأساسية لتقدم مسيرة حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

وكانت الإرهاصات الأولى مع المعاهدات التي نصت على حظر تجارة الرقيق والقضاء على العبودية. ففي عهد عصبة الأمم تمّ في العام1926، إبرام اتفاقية خاصة بتحريم الرق الذي يعد حالة اجتماعية يكون فيها المرء ملكاً لشخص آخر، أولطرف آخر، وسلعة تقتنى كالأثاث، وتباع.

وميثاق الأمم المتحدة هو المرجع الأهم في الدفاع عن حقوق الإنسان وترسيخ أركان التسامح. ففي ديباجته أكدت الشعوب إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان، وبكرامة الكائن البشري وقيمته، وبحق المساواة بين الناس،وأعلنت عزمها على أن تسلك طريق التسامح وتعيش معا في سلام وحسن جوار.

وفي الفقرة الثالثة من المادةالأولى ورد أن من مقاصد الأمم المتحدة «تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاوتشجيعها، بلا تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين». ونصت الفقرة الثالثة من المادة 55 علىإشاعة الاحترام العالمي والفعال لحقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع، بلا تمييز بسبب العرق أو الجنسأو اللغة أو الدين[52].

وفي عام 1948، صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يعتبر حدثاً تاريخياً وإنجازاً حضارياً متميزاًللمجتمع الإنساني، وخلاصة رفيعة لأنبل ما دعت إليه الكتب المقدسة والفلسفات والنظريات الإنسانية التينشرت في القرون الماضية وعبرت عن توق الإنسان الى الحرية والمساواة والتسامح[53].

وكان (الإعلان العالمي) المحطة التاريخية الأولى في مسيرة تطور حقوق الإنسان.

---

[52] - مبدأ التسامح الديني ومناهضة العنف في الاتفاقيات الدولية، محمد المجذوب، موقع حشد ، على الرابط : http://hshd.net/print1809.html .

53 - مبدأ التسامح الديني ومناهضة العنف في الاتفاقيات الدولية، محمد المجذوب، موقع حشد ، على الرابط : http://hshd.net/print1809.html . مرجع سابق .

والمادة 18 منه حسمت بعض الإشكالات عندما أقرتبحق كل شخص» في حرية التفكير والضمير والدين»، واعتبرت أن هذا الحق يشمل «حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم بمفرده، أو مع جماعة، وأمام الملأ، أو على حدة.«

وجاء العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية يقر، في المادة 18، حق الإنسان في أن يدين بدين ما، وأن يعتنق أي دين أو معتقد يختاره. وفي العام 1981، صدر الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد، وسار في الاتجاه ذاته وكرس حرية الدين، وعرف مصطلح التعصب والتمييز، ومضمون عبارة الحرية الدينية.

وفي 1993/6/14، عقد في فيينا المؤتمر العالمي حول حقوق الإنسان، فطالب، في برنامج العمل الصادرعنه، جميع الحكومات باتخاذ جميع التدابير المناسبة لمواجهة أشكال التعصب والعنصرية وعدم التسامح.ولم يقتصر أمر الاهتمام بمبدأ التسامح الديني على الأمم المتحدة وأجهزتها ومؤتمراتها، بل شمل كذلك المنظمات الإقليمية التي أتيح لها إصدار العديد من البيانات والقرارات لحماية الحرية الدينية.

ففي تموز 1992، أصدر مؤتمر لمنظمة الوحدة الأفريقية (الاتحاد الأفريقي اليوم) قراراً نبه فيه الى خطورةاستعمال الدين لغايات تقوم على التمييز العرقي، ودعا الى تعميق التشاور لتعزيز قيم التسامح والاعتدال والتضامن في العلاقات الأفريقية. وفي اجتماعه في تونس، في حزيران 1994، أقر مدّونة قواعد السلوك ودعا الى ضرورة التصدي للتطرف والإرهاب .

وكان مؤتمر القمة لمنظمة المؤتمر الإسلامي قد أصدر، في كانون الأول 1991، قراراً أكد فيه «عدم السماح لأية حركة تستغل ديننا الحنيف للقيام بأي نشاط مناوئ لأي بلد عضو، ودعا الى التنسيق بين الدول الأعضاء لتطويق ظاهرة الإرهاب الفكري والمغالاة .

وفي حركة عدم الانحياز تعرض رؤساء الدول والحكومات، في اجتماع جاكرتا في ايلول 1992، لمسألة الحرية الدينية، واعتبروا أن الإرهاب يشكل تهديداً خطيرا يحول دون التمتع بحقوق الإنسان، ومنها الحريةالدينية. وهناك، على المستوى الأوروبي، وثائق عديدة في هذا الصدد، منها توصية صادرة عن المجلس الأوروبي،

وبعد صدور «الإعلان العالمي» توالى صدور الاتفاقية الدولية الداعمة والحامية لحقوق الإنسان ومبدأالتسامح، وازدادت الجهود الدولية الرامية الى إرساء مبادئ التسامح ومقاومة التعصب، ومنها:

.الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري 1965/2/21

.الاتفاقية الدولية للقضاء على جريمة الفصل العنصري وقمعها 1973/11/30

. الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد 1981/11/25

. اتخاذ لجنة حقوق الإنسان (التي حل محلها في العام 2006مجلس حقوق الإنسان، المرتبط مباشرة بالجمعيةالعامة للأمم المتحدة) قراراً في العام 1986 قضى بتعيين مقرر لتقصي مظاهر التعصب ومتابعة الإجراءات الحكومية الهادفة الى القضاء على هذه الآفة .

. إعلان حقوق الأشخاص المنتمين الى أقليات قومية أو عرقية أو دينية أو لغوية 1992/12/18وفي 1993/12/20، صدر قرار الجمعية العامة باعتبار سنة 1995 السنة الدولية للتسامح (اقتناعا منها بأن التسامح. الاعتراف بالآخرين وتقديرهم، والقدرة على العيش مع الآخرين والاستماع الى الآخرين. هو الأساس السليم لأي مجتمع مدني)

المطلب الرابع : أبرز المواقف الحضارية الإسلامية لإرساء قيم التسامح

أولاً : وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للقادة والجيوش :

لم تكن فضيلة التسامح قيمة نظرية نادى بها الإسلام فحسب، بل تعدى إلى التطبيق العملي وكان للقائد والمربي والمعلم الأول رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم أولى بصمات هذا التطبيق، وعلى الرغم من الإشارة إلى موقفه من قريش عند الفتح الأعظم – فتح مكة – إلا أن وصاياه للجيوش الإسلامية وهي تنطلق للدفاع عن المسلمين وعقيدتهم كانت من أعظم وأروع ما سطره التاريخ في سجل التسامح، فلا يجوز أن تتعدَّى الحرب إلى المدنيين الذين لا يشتركون فيها من الشيوخ والنساء والأطفال والعجزة، أو العُبَّاد، أو العلماء ، والخَدَم ، إلا إذا قاتلوا، أو كان لهم في تدبير الحرب رأي ومكيدة؛ لأن القتال هو لمن يقاتلنا[54] .

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عندما أرسله إلى قبيلة كلب النصرانية ؛ فقال له" :اغزوا جميعًا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، فهذا عَهْدُ اللهِ وسيرة نبيّه فيكم[55] .

وعَنِ ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ : (**اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا تَغْدِرُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ**)[56] .

كانت تلك هي وَصَايَا الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم جميعًا عندما كان يُرسلهم لدعوة الناس إلى الإسلام، والأخذ بأيديهم إلى طريق الله تعالى، وفَتْحِ الأبواب أمام الدعوة الإسلامية حتى تصل لكل البشر، وحتى لا يُحرَمَ أحدٌ من نُور الإسلام العظيم.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي أيضاً بعدم الإفساد في الأرض، فلم تكن حروبه صلى الله عليه وسلم حروب تخريب كالحروب المعاصرة التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه يحرصون أشدّ

---

[54] - شرح السياسية الشرعية لابن تيمية،محمد بن صالح العثيمين ص 369، الطبعة الأولى، سنة 2004، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .

[55] - أخرجه الحاكم في المستدرك برقم : (8623)، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. وانظر السيرة النبوية، ابن هشام: ج 2ص631.

[56] - أخرجه أحمد برقم: (2728)، والبيهقي في سننه برقم: (17933).

الحرص على الحفاظ على العُمران في كل مكان، ولو كان بلاد أعدائهم؛ فقد جاء في وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لجيش مؤتة : (**ولا تَقْطَعَنَّ شَجَرَةٍ وَلا تَعْقِرَنَّ نَخْلًا ولا تَهْدِمُوا بَيْتًا**)[57] .

ثانياً : العهدة العمرية :

وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في إرساء قيمة التسامح في الاسلام وعند المسلمين، سار على نهجه الشريف الصحابه الكرام، فكانوا خير جيل تخرج من بين يدي أرحم قائد عرفه التاريخ، وكان من أشهر وأروع مواقف الصحابة في إرساء قيمة التسامح – سيرا على نهج النبوة – موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما عرف بالعهدة العمرية التي كتبت بينه رضي الله عنه وبين أهل القدس يوم فتحها وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين نص العهدة العمرية هذا ما أعطى عبد الله، عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقمها وبريئها وسائر ملتها... أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرِجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بِيَعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصلبهم حتى يبلغوا أمنهم. فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية)

كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية، شهد على ذلك : عالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمر بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان[58] .

يخلط البعض قصدا أو جهلا بين العهدة العمرية وما يعرف عند الفقهاء بالشروط العمرية التي أوردها بعض العلماء كابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وابن كثير في تفسيره، وعند دراسة هذه الأسانيد يتبين بوضوع ضعفه بسبب الانقطاع بين رواته. وقد أورد ابن الجوزي مجموعة من الروايات في هذا المعنى كلها لا يخلوا من ضعف في بعض رواتها أو جهالة في آخرين

كما أن الدكتور همام سعيد في كتابه الوضع القانوني لأهل الذمة أشار إلى توهين هذه الشروط من جميع طرقها، وقال : حتى الإمام ابن الجوزي فطن للضعف فقال معلقاً عقب ذكر الروايات وشهرة هذه الشروط تغني عن أسانيدها، وهذا غير مسلم فيه لأن الشهرة لا تعني الصحة أو حتى الحسن بل هناك المشهور ما هو موضوع[59] .

---

[57] - البيهقي في سننه الكبرى (17935).

58 - رويات العهدة العمرية دراسة توثيقية، رمضان إسحاق زيان بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، ص 185، العدد الثاني، يونيو 2006.

59 - الوضع القانوني لأهل الذمة، همام سعيد، ص 157.

وعليه تكون هذه الشروط غير مقبولة حديثيا، وإن استخدمها الفقهاء في كتبهم، وأن العهدة العمرية تختلف تماما عن شروطها التي ألحقت بها خطأ[60] .

ثالثاً : تعامل صلاح الدين مع الأسرى

ومع مرور مئات السنين وأبطال الإسلام يتابعون ما بدأ به نبيهم صلى الله عليه وسلم، فاستمروا في تسطير قيمة التسامح وإرساء قيمته لتجتاز البحار والمحيطات لترويها المجتمعات البشرية حتى في خارج ديار الإسلام، فها هو السلطان الناصر صلاح الدين أثبت للعالم ان الإسلام وحده القادر على كبح جماح الانتقام البشري، والوحشية المتولدة نتيجة رفض المخالف والاستيلاء على الحقوق .

لم يعمد السلطان إلى التعامل بالمثل مع الصليبيين كما تعاملوا هم مع الأسرى المسلمين بل تعامل معهم بكل إنسانية وسلمية لم يشهد التاريخ لها مثيلا في ذلك الزمان.

فعلى سبيل المثال لما دخل السلطان بيت المقدس محررا أعطى الأمان لأهلها ليخرجوا منها وأمهلهم أربعين يوماً، تمكن الأغنياء من الصليبيين من دفع الفدية التي عليهم، وخرجوا تاركين وراءهم الفقراء منهم يواجهون مصيرا تعيساً، فقد خرج البطريرك هرقل من بيت المقدس بخزائنه الضخمة دون النظر لغيره، وهذا الموقف المخزي من كبار الصليبيين وتلك الشهامة وذلك التسامح من السلطان الناصر جعل الكاتب الانكليزي (لين بول) يؤكد على اعجابه بصلاح الدين حيث قال بعد تهجمه على البطريرك : (إنها كانت فرصة للملك المسلم أن يعلم المسيحيين معنى التسامح)[61].

وكان أثر هذا التصرف واضحاً على المسلمين حول صلاح الدين فطلب من السلطان عدة من الشخصيات كأخيه الملك العادل وأمير البيرة والبطريرك وباليان مجموعة من الأسرى ليطلقوا سراحهم بل تعدى الأمر إلى عامة المسلمين يتسابقون إلى هذا التسامح والكرم اقتداءا بقائدهم السلطان. وكانت المفاجاة من السلطان عندما أمر حرَّاسه بالمناداة في شوارع القدس أنه سيطلق سراح من لم يستطع دفع الفدية من الصليبيين لكبر سنه، وأن على هذه الطائفة أن تتقدم من الباب الخلفي للمدينة ليسمح لهم بالخروج منها من طلوع الشمس إلى الليل، وما أن أصدر هذا الاعلان حتى توافد الصليبيون على ذلك الباب بأعداد لا تحصى[62].

ثم حدث أن اجتمعت مجموعة من النساء أمام مكان اقامته ولما سأل عن حالهن قالوا له : إنهن زوجات الأسرى وبعض القتلى الذي سقطوا في المواجهة معنا في بعض المعارك، فأمر بإطلاق سراح أزواجهن

---

60 - رويات العهدة العمرية دراسة توثيقية، رمضان إسحاق زيان بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، ص 189.

61 - صلاح الدين الأيوبي، د. محمد علي الصلابي ص 539، الطبعة الأولى، عام 2008م، دار المعرفة، بيروت.

62 - صلاح الدين والصليبيون استرداد بيت المقدس، عبد الله الغامدي، ص 216، طبعة عام 1985م، دار الفضيلة، بيروت.

الأسرى، ومنح الأرامل وزوجات القتلى مبلغا من المال يكفيهن للوصول إلى المكان الذي يرغبن التوجه إليه63.

ووردت الكثير في من القصص والحالات الخاصة التي اشتهرت في سيرته وكانت مضرب المثل في أوروبا على الإنسان المسامح الكريم كتعامله مع الملكة الرومية المتعبدة وابنة أماري زوجة أحد الملوك وكذلك الأبرنساسة أم هنفري64.

المبحث الثالث : (الإسلام والتسامح والمغالطات)

المطلب الأول : التسامح وإرهاب العدو

من المغالطات التي أشكلت على الكثير من أبناء المسلمين كيفية التوافق بين التسامح كقيمة لفضيلة أكد عليها الإسلام بشقيه النظري والتطبيقي، وبين مفهوم الإرهاب كما ورد في القرآن الكريم في عدة آيات سواء باللفظ المباشر أو غير المباشر.

ومن خلال دراسة مادة مفردات ألفاظ الإرهاب في القرآن الكريم تجد أنها لم تأت مرة واحد بمعنى القتل والدمار ونشر الظلم، فالإسلام دين سلام ووئام وعدل وهو بعيد عن الأرهاب – بمفهومه المعاصر – وليست غايته القتل والدمار، بل غايته نشر السلام والعدل والإخاء[65].

أما أكثر الآيات دلالة على تخويف الأعداء وترهيبه جاءت في قوله تعالى : [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ][66]

وردت اللفظة في هذه الآية بصيغة فعل المضارع من الأفعال الخمسة المبني للمجهول، لأن التخويف والإفزاع هنا منصب على طوائف متعددة من أعداء الله ودينه، وعليه فالترهيب هنا ليوقف خطر الأعداء من المناوئين والمحاربين، وليس للمسالمين من الأمم الأخرى، فالترهيب هنا للأعداء حق شرعي إلهي منحه لعباده المسلمين زمن الحرب، لإرهاب أعداء الله، ممن يقعدون للمسلمين كل مرصد بهدف إيذائهم وكسر شوكتهم. وهو حقهم الديني المشروع للدفاع عن أنفسهم وأوطانهم67.

وفي هذا الصدد قال الإمام الطاهر ابن عاشور: (وجملة "ترهبون به عدو الله وعدوكم" هم المشركون، فكان تعريفهم بالإضافة لأنها أخصر طريق لتعريفهم)، ويقول : (والإرهاب جعل الآخر راهبا أي خائفا، فإن

---

63 - صلاح الدين والصليبيون، ص 218، وحطين طريق الانتصار عبد القادر الباقوري، ص75، الطبعة الأولى، عام 1998م، دار الهدى، المنيا ، مصر.

64 - الروضتين في أخبار الدولتين، ابن شامة، ج 2 ص 245 ، طبعة عام 1992م، من منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

65 - أنظر: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والسياسات المعاصرة، زكي السيد أبو غصة، ص132،الطبعة الأولى،لعام 2002، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، مصر. والإرهاب، بشتيوان صادق، ج1 ص124، الطبعة الأولى، لعام 2006،رسالة ماجستير من كلية القانون جامعة صلاح الدين، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، كوردستان العراق .

66 - سورة الأنفال /60.

67 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3 ص 304. من دون طبعة، من دون تاريخ،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، وصفوة التفسير ومحمد علي الصابوني، ج 1، ص 511، (ب ت ، ب ط) دار قصر الكتاب، البليدة،

العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه، ولم يجرؤ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنا من أن يغزوهم أعداؤهم، فيكون الغزو بأيديهم: يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أوفق لهم، وأيضا إذا رهبوهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم)[68]

ومن هذا المنطلق ليس هناك أي تعارض بين كون الإنسان يبني سورا يحمي به نفسه وفي الوقت ذاته يتمتع بأعلى وأنبل صفات البشر.

وبرأيي: على العكس تماما فالمتسامح لا يظهر فضيلتها عليه إلا إذا كان بمقدوره فعلها، فالزاهد الحقيقي مثلا هو من يملك المال وينفقه في وجوه الخير ولا تشغله ثروته المالية عن الله وعبادته.

وكذلك الإحسان من يعفو عن غيره وهو قادرة على الانتقام من خصمه وعدم العفو عنه، ولكن العفو عند المقدرة تلك هي قمة فضيلة العفو.

وكذلك التسامح الحقيقي هو من كان قادرا على عدم منحها بسبب الغلبة والتفوق في جميع الميادين كالسياسية والعسكرية، أما إذا تجرء معتد للنيل من المسلمين، وماذا لو كان هذا المعتدى دولة باغية لن تتورع عن الهجوم على جارتها إن كانت الجارة دولة ضعيفة ؟ لذا لابد لتلك الدولة الضعيفة أن تستعد بكل ما تستطيع من قوة، لا لتعتدى على غيرها ولكن لتحمى حدودها من تلك الدولة المتعدية الباغية، والدولة الاسلامية الحقيقية لا تعتدي على أحد، ولا تدخل فى حرب إلا مضطرة لتدافع عن نفسها ، وحتى تكون فى أمن ويتحقق السلام وتردع الدول المتعدية الطامعة فيها، لا بد للدولة الاسلامية من أن تكون قوية على أتم استعداد للدفاع ، وبهذه القوة تؤسس السلام لأنها تردع و (ترهب) الدول المعتدية فلا تفكر فى العدوان، وبسياسة الردع هذه يتم حقن الدماء هنا وهناك، ويتحقق السلام .

وبهذا يكون مصطلح الارهاب ردعاً وتخويفاً للعدو الباغى بما يحقق السلام ، ومن هنا نفهم قوله جل وعلا : [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ][69] فإن جنحت الدولة المعتدية للسلام، حتى لو تظاهرا وخداعا، فإن على الدولة الاسلامية قبول السلام، توكلا على الله جل وعلا وأملا فى نصره وتأييده، امتثالاً لقوله تعالى : [وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ][70].

وبذلك يكون المعنى خلاف الشائع لمصطلح الإرهاب في عصرنا فيأتى المعنى فى القرآن الكريم كأداة للاصلاح والسمو الخلقى وكسبيل لتحقيق السلام[71].

---

68 - تفسير التحريروالتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج 10، ص 56 و57، الطبعة الأولى، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.

69 - سورة الأنفال /60.

70 - سورة الأنفال / 61- 62.

71 - مفهوم الارهاب فى القرآن الكريم، أحمد صبحى منصور ، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ : 2009/12/15 العدد 2859 على الرابط : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=195345

المطلب الثاني : التسامح والمعاملة بالمثل

ومن المغالطات التي يقع فيها بعض المنتقدين للإسلام عدم قدرتهم على التوفيق بين التسامح وبين تطبيق قاعدة ومبدأ المعاملة بالمثل الجائز شرعا .

ومع ورود هذا المبدأ في أكثر من آية في القرآن الكريم إلا أنه رافقه الدعوة إلى المسامحة إما بشكل مباشر أو غير مباشر .

ففي قوله تعالى : [وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ][72] .

يقول الرازي : (أمر الله بأن يعاقبوا بمثل ما أصابهم من العقوبة ولا يزيدوا)[73].

ويقول سيد قطب : (ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل ، فإن القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر، حين يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان، في الحالات التي قد يكون العفو فيها والصبر أعمق أثر وأكثر فائدة للدعوة. فأشخاصهم لا وزن لها إذا كانت مصلحة الدعوة تؤثر العفو والصبر. فأما إذا كان العفو والصبر يهينان دعوة الله ويرخصانها، فالقاعدة الأولى هي الأولى. ولأن الصبر يحتاج إلى مقاومة للانفعال، وضبط للعواطف، وكبت للفطرة، فإن القرآن يصله بالله ويزين عقباه: { وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ } فهو الذي يعين على الصبر وضبط النفس، والاتجاه إليه هو الذي يطامن من الرغبة الفطرية في رد الاعتداء بمثله والقصاص له بقدره)[74].

وبمقارنة بسيطة بين هذا المبدأ في الإسلام وغيره سنجد أن قاعدة المعاملة بالمثل في أول نشأتها في الإسلام تناولت العلاقة بين العبد وربه في العبادات إلى جانب المسائل الأخلاقية وآداب المعاملة، ومن ثم تناولها في العقوبات، على أن هذا المبدأ نشأ عند غير المسلمين لتتناول العقوبات بين البشر أولاً [75].

كما أن هذا المبدأ تم إقراره في الإسلام ليكون السلاح الرادع للمعتدين على المسلمين، ووضع له شروطه وأهمها على الإطلاق عدم الزيادة وتجاوز حدود الحق في القصاص، أما غيرهم فلم يكن هناك حد للإنتقامات ولم تشفع للحد من ذلك علاقات القربى والجوار كما حصل في البوسنة والهرسك .

وبذلك يمكن القول : أن العلاقات الاجتماعية والدولية والدبلوماسية في الإسلام تقوم على أساس مبادئ وقيم الحق والعدالة ومن ثم تعتبر ممارسة أخلاقية لتوضع أخير في نطاق التعبد لله تعالى .

أما في قوله تعالى : [وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن

---

[72] - سورة النحل /126.

[73] - التفسير الكبير ج20 ص 42.

[74] - في ظلال القرآن، سيد قطب، ج 4 ص 2202، الطبعة الخامسة والعشرون،عام 1996م، دار الشروق، القاهرة، مصر .

[75] - خبر في موقع جريدة الرأي السودانية عن رسالة دكتوراة في موضوع المعاملة بالمثل، للباحث مصطفى عثمان إسماعيل في جامعة النيلين على الرابط : http://www.alnilin.com/news-action-show-id-22447.htm

سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ][76].

فجاء الترغيب الإلهي بالعفو والصفح والإصلاح وتفضيله على مقابلة السيئة بالسيئة، وعند هذه الآية يقول محمد رشيد رضا : (بأن الله تعالى أباح لنا في التعامل فيما بيننا أن نجزي على السيئة بمثلها عملا بالعدل ، وجعل العفو فضيلة لا فريضة فقال : [وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ] . إلى أخر الآيات . وقال : [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ] أفلا يكون من العدل بل فوق العدل في الأعداء أن نعاملهم بمثل العدل الذي نعامل به إخواننا أو بما ورد بمعنى الآية في بعض الآثار ، قاتلوهم بمثل ما يقاتلونكم ؟ وهم ليسوا أهلا للعدل في حال الحرب)[77].

وبهذه الملازمة والمزاوجة بين الحق في تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل والدعوة والترغيب في التسامح يكون الإسلام قد رسم خطا متوازنا يراعي فيه حقوق الإنسان من جهة والسمو بها إلى معاريج الفضيلة من جهة أخرى .

المطلب الثالث : التسامح والولاء

ومن التصورات والتفاسير الخاطئة والمغالطات التي يقع فيها البعض تعارض فضيلة التسامح مع المخالفين من غير المسلمين ومسألة الولاء للإسلام، فكيف يمكن التوافق بين تسامح الإسلام والآيات الكريمة الداعية إلى عدم موالاة المشركين والكفار كما في الآيات الكريمة التالية :

قوله تعالى : [لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ][78].

وقوله تعالى : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ][79].

وقوله تعالى : [كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ][80].

الناظر إلى هذه الآيات الكريمة بدراسة موضوعية سيرى أنه لا علاقة ولا صلة لهذه الآيات الكريمة بموقف الإسلام من التسامح مع المخالفين مهما كانت آراؤهم ومعتقداتهم لأنها وردت في المعتدين على الإسلام والمحاربين لأهله[81]. كما أن تنبيه المسلمين والمواطنين في بلدانهم من معاونة خصومهم واجب

---

[76] - سورة الشورى / 39- 43.

77 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج10 ص71، الطبعة الثانية، عام 1368هـ،دار المنار، القاهرة، مصر.

78 - سورة آل عمران /28.

79 - سورة المائدة /51.

80 - سورة التوبة /8.

81 - تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، ص50.

يتجدد على الكافة في كل العصور، وقد حدد الإسلام تحديدا دقيقامن يحق مناوءتهم ومقاطعتهم وعدم الاتصال بهم، فقال تعالى : [لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ][82]

يقول الأمام حسن البنا : (وليس في الدنيا منصف واحد يُكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضا لنظام شؤونها)[83].

فصدور قانون يحرم التعامل مع أية قوات أجنبية ضد بلد آمن ومستقر ومسالم لا يفهم منه أن يصبح اهل هذا ابلد عدواً مخاصما للعالم أجمع، ولا أن ينشأ أبناؤه على بغض البشرية ولا أن يعمل ساستها على كسب خصومة العالم من دون مبرر .

وفي هذا السياق يذكر الدكتور شوق أبو خليل مثالاً رائعاً فيقول : (لقد قال المسيح : "ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً " [84] فهل يفهم أحد من ذلك أن رسالة المسيحية إيقاد للحروب في الأرض وأنها لا تحيا بين الناس إلا لسفك الدماء ؟)[85].

إن الولاء للإسلام أيضاً لا يعني رفض غيره لأنه مدعو للدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لهجوم عسكري أو ثقافي، ولأن الإسلام دين التسامح والعفو والصفح يأمر بمسالمة من لا يتعرض له بالإساءة .

وليس هذا فحسب بل دعا الإسلام إلى التعامل بالبر والعدل والتسامح مع كل مخالف معه في الاعتقاد شريطة أن لا يبادر الآخر إلى الكيد والمكر وإعلان الحرب فضلا عن الخوض فيها سواء بشكل مباشر او غير مباشر[86].

يقول الله تعالى : [لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ][87] .

فالإسلام يمد يد المصافحة لجميع البشرية ليحقق التعاون لإقامة مجتمع العدل ونشر الأمن وصيانة الدماء أن تسفك وحماية الحرمات.

وذاك هو التوافق بين تسامح الإسلام ورفضه الولاء لخصومه المعتدين، توافق يعتبر حاجزا حقاً بين التسامح والعفو من جهة والضعف والجبن والنذالة من جهة أخرى .

---

82 - سورة الممتحنة /8.

83 - مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، ص286. طبعة سنة : 1412هـ 1992م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر .

84 - إنجيل متى 34/10

85 - تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، ص50.

86 - مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، ص285.

87 - سورة الممتحنة /8 .

الخاتمة

بفضل الله ومنه أنهيت البحث وتوصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي :

أولاً : النتائج :-

1 - جاء الإسلام متمما لمكارم الأخلاق وتربع التسامح قمة فضائلها كسلوك حضاري تميز في احترام العقائد وقبول المخالف .

2 - دعوة الأمم غير الإسلامية – والأوروبية خاصة – إلى التسامح كمبدأ جاء انتصاراً غير مباشر لدعوة الإسلام وكشف لمكانتها .

3 - من الضرورات التنوع البشري وأحزام الخصوصيات ترسلها والحقيقية الإنسان من الأحزام المتبادل والمساواة . واقامة المجتمع المدني تطبيق غير تسامح بين الناس .

4 - كان وما زال الإسلام الراند و القائد في الحقيقة القيم الإنسان التي ترفع من القدر الإنسان وتكريم بين سائر المخلوقات لذا القرن الكريم والسنة التقرير لتؤكد عميلة التسامح وأهمية التطبيق.

5 - وضع الإسلام جملة من القواعد والضوابط الفقية والإرساء قيمة التسامح بين المسلمين ولذين هم من الامم بعيدا عن الجميع أنواع الإختلاف العقدية الفكرية والعرقية .

٦ - لم يغفل اللمجتمع الدولي بجميع المؤسساته عن الدعوة الى التسامح ونبذ العنف في جميع المبادين وفيها قامت بالعديد من القرارت وأصدرت الكثير القرارت الداعية لها .

٧ - الدعوة إلى التسامح مع غير المسلمين والرفق بهم ومسالمتهم لا يتعارض مع دعوة الإسلام إلى الاستعداد الدائم لتحقيق التوازن في القوة حتى لا يطمع فيها من لا يؤمن جانبه سواء على المستوى الفردي والشخصي أو على المستوى الدولي .

8 - منح الإسلام الحق في المعاملة بالمثل لا يتعارض مع مبدأ التسامح لا سينما وأنه دعا إلى العفو والصفح بشكل متلازم وجعل ذلك من العبادات والقربات .

٩- تحذير الإسلام من الاعداء والخصوم المعتدين لا يعني أن يرفع المسلمون راية الخصومة للعالم بل على العكس تماما من خلال فتح قنوات الاتصال والتعاون مع الأمم الأخرى لتحقيق العدالة ونشر الأمن والسلام على الأرض.

ثانياً : التوصيات :-

1- التركيز على أهمية دور الدعاة والخطباء ومعلمي المواد الدينية في توجيه الخطب في الجوامع لتوطيد التلاحم بين أبناء المجتمع واحترام قيم حقوق الانسان والمواطنة في ظل الشريعة الإسلامية السمحاء

2- تشكيل لجان جادة من وزارة التربية ووزار الاوقاف لدعم المناهج التربوية بمفاهيم التعددية لمكونات المجتمع وبإعتماد مبدأ المواطنة وحقوق الانسان والتسامح .

3- دعوة المؤسسات الاعلامية المختلفة في ممارسة دورها الايجابي والمؤثر في اشاعة ثقافة الحوار وقبول الاخر وترسيخ مفاهيم التعايش السلمي والتسامح بجميع انواعه ومجالاته.

4- دعم منظمات المجتمع المدني العاملة في مجال المكونات الاثنية والدينية وتعزيز السلم المجتمعي ونشر ثقافة الاخوة ونبذ العنف.

5- الاخذ بنظر الاعتبار خصوصية المكونات الدينية والاجتماعية المختلفة في موضوع الاحوال الشخصية

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإرهاب في اليهودية والمسيحية والسياسات المعاصرة، زكي السيد أبو غصة، الطبعة الأولى،لعام 2002، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، مصر. و
- الإرهاب، بشتيوان صادق، الطبعة الأولى، لعام 2006،رسالة ماجستير من كلية القانون جامعة صلاح الدين، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، كوردستان العراق .
- إشكالية التسامح، محمد مجتهد ثبستري، في : التسامح وجذور اللاتسامح، رضوان السيد وآخرون، مركز دراسات فلسفة الدين، شباط 2005م ، وزارة الثقافة العراقية ، بغداد .
- تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، الطبعة الثالثة، عام 1428لميلاد الرسول، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا.
- التسامح بين الإسلام والنصرانية، محمد الغزالي، ص 5.
- التسامح في القرآن، داود سلمان الكعبي،موقع لحوار المتمدن، العدد: 2663 بتاريخ 2009/5/31م على الرابط : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=173610
- تفسير التحريروالتنوير، الطاهر بن عاشور، الطبعة الأولى، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الطبعة الأولى، سنة 2000م، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، من دون طبعة، من دون تاريخ،دار الأندلس للطباعة بيروت.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، عام 1368هـ،دار المنار، القاهرة، مصر.
- الروضتين في أخبار الدولتين، ابن شامة، طبعة عام 1992م، من منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
- رويات العهدة العمرية دراسة توثيقية، رمضان إسحاق زيان بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، العدد الثاني، يونيو 2006.
- سلسلة الضعيفة 4. قال الألباني الحديث منكر ، رقم الحديث1557 : الطبعة الأولى. سنة 1988 م، مكتبة المعارف الرياض.
- شرح السياسية الشرعية لابن تيمية،محمد بن صالح العثيمين الطبعة الأولى، سنة 2004، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .
- شرح النووي لصحيح مسلم، شرف الدين النووي، الطبعة الأولى، عام 1995م، دار أبي حيان، القاهرة ، طبع على نفقة محمد بن راشد آل مكتوم.
- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، مراجعة: محمد علي القطب وهشام البخاري،الطبعة الأولى، عام 1997م، مكتبة العبيكان.
- صفوة التفسير ومحمد علي الصابوني، ، (ب ت ، ب ط) دار قصر الكتاب، البليدة،
- صلاح الدين الأيوبي، د. محمد علي الصلابي الطبعة الأولى، عام 2008م، دار المعرفة، بيروت.
- صلاح الدين والصليبيون استرداد بيت المقدس، عبد الله الغامدي، طبعة 1985، دار الفضيلة، بيروت.
- صلاح الدين والصليبيون وحطين طريق الانتصار عبد القادر الباقوري، ص75، الطبعة الأولى، عام 1998م، دار الهدى، المنيا ، مصر.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الخامسة والعشرون،عام 1996م، دار الشروق، القاهرة، مصر.
- قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل، طبعة عام 1991م، مركز الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر.
- قيم التسامح، نبيل نعمة الجابري، مقالة منشورة في موقع الموسوعة الإسلامية بتاريخ 2013/4/21م على الرابط : http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=1332
- الكتاب المقدّس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد - (العهد القديم). بعناية: الأب باسيليوس كناكري.
- كن شجاعاً واستخدم عقلك بين نور التسامح وظلمة التعصب، د. محمد الرميحي، مجلة العربي، العدد 422، سبتمبر 1992م، الكويت .
- لسان العرب، لابن منظور، مادة (سَمَحَ)، الطبعة الثانية، . 1993م دار إحياء التراث العربي – بيروت
- مجمع الزوائد رواه أحمد وأبويعلى بنحوه والبزار ورجالهم ثقات.
- مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، طبعة سنة:1992م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر.
- المسيح في الإسلام، ميشال الحايك، ط4. 1961بيروت. دار النهار.
- المعاملة بالمثل خبر في موقع جريدة الرأي السودانية عن رسالة دكتوراة في موضوع المعاملة بالمثل، للباحث مصطفى عثمان إسماعيل في جامعة النيلين على الرابط : http://www.alnilin.com/news-action-show-id-22447.htm
- المغني لابن قدامة
- مفهوم الارهاب فى القرآن الكريم، أحمد صبحى منصور ، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ : 2009/12/15 العدد 2859 على الرابط :
- http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=195345
- مقالة للاستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت. ayemh@yahoo.com
- موسوعة وكيبيديا الحرة على الرابط التالي :
- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD
- موقع الدليل الفقهي على الرابط : http://www.fikhguide.com/almbt3th/12 .
- نقد التسامح اللبرالي، د. محمد بن أحمد المفتي، (ب ط ، ب ت) مركز البحوث والدراسات، إصدار رقم 128، جريدة البيان .